

(المحاضرة الخامسة)

تطور الفكر العربي في العصر الحديث

• ظهور النزعات الفكرية المتعددة

بدأت منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر نهضة ثقافية في الوطن العربي بعد فترة طويلة من الركود الفكري وقد تجلت هذه النهضة في ازدياد المدارس الحديثة التي يقودها معلمون منتورون وانتشار الطباعة والصحافة وكثرة الجمعيات الأدبية والعلمية وقد طرح الفكر الغربي في بدء حركة النهضة هذه جملة من التساؤلات تتصل بطبيعة التناقضات الأساسية في حياة الغرب وواقعهم وقد تمثلت الاجابة بظهور عدة نزعات فكرية وسياسية واجتماعية اهمها ما يأتي:

❖ **النزعة الدينية - الإصلاحية:** مثلها الرواد جمال الدين الافغاني ورفاعة

رافع الطهطاوي ومحمد عبده ومحمد رشيد رضا وتلاميذهم والسيد محمد سعيد الحبوبي وابو الثناء الالوسي.

❖ **النزعة الدينية:** التي مثلها عبد الرحمن الكواكبي في كتابيه (طبائع

الاستبداد) و (ام القرى) والكواكبي عد العرب "الامة الجديرة بحفظ الاسلام من الفساد" ودعا الى اخلاق عربية ووجه فكرة الاصلاح الديني بشكل يتفق مع الفكرة الغربية.

كان اساس هذه النزعة التأكيد على الصلة القوية بين العروبة والاسلام فالاسلام كرسالة ثورية روحية واجتماعية جسد حقيقة الامة العربية كما ان العروبة من جهة اخرى تشكل في نظر الك اربي الضمانة للمحافظة على جوهر الاسلام.

كان القران مصدر افكار الكواكبي والعزة وحرية الراي هدفه والرجوع الى اثار السلف في دعوته لقد دعا العرب الى تناسي الاحقاد والضغائن والاهتداء الى وسائل الوحدة.

مارس الكواكبي التعليم فترة من الزمن وقبل العمل في وظائف الحكومة وكان معروفا بالصراحة والنزاهة لذلك فقد اخذ الكثير من المسؤولين العثمانيين يثيرون له المتاعب فأضطر الى ترك الشام والسفر الى مصر سنة ١٨٨٨ حيث دأب على التأليف ونشر المقالات الفكرية والسياسية.

شن الكواكبي في مقالاته حملة على الفساد والرشوة وهذا ما تدعو اليه مبادئ النزاهة والشفافية في الوقت الحاضر والظلم والاستبداد وكان يعتقد ان التعليم هو الوسيلة المهمة لتعميق الوعي عند الانسان الغربي وفي كتابه ان القرى انتقد الادارة العثمانية مذكرا بمركزيتها الشديدة كما انكر على السلاطين العثمانيين ادعائهم بالخلافة ويقدم الكواكبي اسبابا عديدة لإقامة خلافة عربية من اهمها ان العرب اقدم الامم الاخرى حضارة وانهم اعلم برسالة النبي محمد صلوات الله عليه ومن هنا فان دعوة الكواكبي لإقامة خلافة عربية هي دعوة الى نهضة العرب والى وحدتهم قبل كل شيء وانها دعوة الى تبوئهم مركزا قياديا.

ويختلف الكواكبي عن المصلح المعروف جمال الدين الافغاني بإيمانه ان للعرب لهم مكانة متميزة بين الشعوب الاسلامية وان الامة العربية ليست رسالتها دينية فحسب وانما هي رسالة مثل وقيم وفضائل ورسالة اخلاقية وانسانية وهذه الرسالة تستمد قوتها من القيم الحضارية العربية ومن المثل الإسلامية القائمة على التسامح.

وكان الكواكبي كن الدعاة (اللامركزية الادارية)، وقد تسربت مقالاته الى مختلف البلدان العربية واقبل الشباب المثقف على قراءتها واستيعابها لذلك تجمع الروايات انه ذهب ضحية الغدر والدسياسة بتدبير من رجال السلطان عبد الحميد الثاني الذين دسوا له السم في الطعام اثناء اقامته في مصر.

❖ **النزعة التاريخية:** وهي الفترة التي انعكست كتابات الجيل الاول من

المفكرين الغرب امثال الشيخ ناصيف اليازجي وبطرس البستاني ومحمود شكري الالوسي وغيرهم من الذين استنهضوا همم العرب عن طريق التذكير بماضيهم الحضاري وبعظمتهم الماضية واشادوا بالعزة العربية واعتزازهم بالحضارة العربية وعملوا على احياء وعي العرب لتاريخهم ولأهمية اراء ومواقف (ناصر اليازجي)

نورد شيئاً عن حياته ودوره. ولد ناصيف اليازجي سنة ١٨٠٠ في قرية صغيرة في لبنان من ابوين فقيرين وقد استفاد من مخطوطات احد الاديرة في تثقيف نفسه وكان يلتهم كل ما يقع امامه من الكتب ولذلك فقد تملكه رغبة جامحة في احياء امجاد التاريخ العربي والادب العربي فوهب حياته كلها في خدمة الآداب العربية. اصدر اليازجي كتبا عديدة في علوم اللغة والنحو والمنطق والبلاغة سرعان ما انتشرت بين الطلاب والمعلمين وفي سنة ١٨٤٧ اسس اليازجي بالاشتراك مع بطرس البستاني جمعية العلوم والآداب وهي من اولى الجمعيات في الوطن العربي في العصر الحديث وكان لها اثر كبير في النهضة العربية الحديثة لقد كرس اليازجي والبستاني اعظم الجهود لخدمة الامة العربية في ميادين الفكر والمعرفة والوعي.

❖ **النزعة الاجتماعية -التقدمية:** وتمثلت في كتابات رواد الاشتراكية

في الوطن العربي امثال شلبي شميل (١٨٥٠ - ١٩١٧). الذي كان يعظم اهمية العلم وكان شلبي شميل اول من وضع منهاجا للحزب الاشتراكي في مصر سنة ١٩٠٨ وكذلك كتابات قاسم امين (١٨٦٥-١٩٠٨) عن حرية المرأة والذي اولى في كتابيه (تحرير المرأة) و(المرأة الجديدة) عناية كبيرة للرسالة الاجتماعية والتقدم الاجتماعي.

❖ **النزعات الإقليمية:** التي اكتفت بالرابطة المحلية (الوطنية الاقليمية)

او بالاطار الجغرافي المباشر (الهلال الخصيب) (وادي النيل) او اخذت شكل الدعوة الى تجزئة الامة العربية الواحدة الى امم كالقومية السورية او التي هربت الى اطار جغرافي اوسع من حدود الوطن العربي او النزعة الشرقية والنزعة المتوسطة حيث تهيمن فكرة القارة الاسيوية بمفهومها الحضاري الشرقي او المفهوم الثقافي الجغرافي (ثقافة بلاد حوض البحر المتوسط) او (النزعة الفرعونية والفينيقية) وهي كلها نزعات مصدرها رد فعل انكماش اقليمي ضد اخطار موهومة تتسلح بمختلف الحجج والنظريات لحجب الدوافع الكامنة وراء موقفها السلبي.

❖ **الاتجاهات القومية الخاصة:** المتمثلة في اراء نجيب عزوري وهو من بلاد الشام عاش في باريس وتوفي سنة ١٩١٦ له كتاب "يقظة الامة العربية في اسيا" طبعه في باريس سنة ١٩٠٥ وكان ابرز ما في كتابه تحليله للمطامع الاستعمارية والصهيونية وخطرها على العرب.

نشأ عزوري في باريس سنة ١٩٠٤ رابطة باسم الوطن العربي جعلت شعارها ارض العرب للعرب وجاء في اول منشور اصدرته الرابطة "ان العرب الذين لا يستبد بهم الاتراك الا بفضل سياستهم القائمة على ابقائهم منقسمين بأسباب واهية في المذهب او الدين قد وعوا وحدثهم التاريخية والعرقية وانهم عقدوا العزم على الانفصال عن الدولة العثمانية وتكوين دولة مستقلة. وفي سنة ١٩٠٧ اصدر مجلة بالفرنسية باسم (الاستقلال العربي) دعا فيها الى تحرير العرب من السيطرة العثمانية ولكن جهود عزوري ظلت محصورة في نطاق ضيق من المثقفين. ومن ممثلي هذه الاتجاهات: ساطع الحصري (١٨٨٠-١٩٦٨) الذي سعى لخلق سياسة تعليمية عربية خالصة وكان منهجه الفكري قائما على ايقاظ شعور الامة عن طريق التربية والتعليم. وكان يؤكد بان هدفه الاول والاساسي تربية الجيل العربي تربية قومية لذلك حرص من خلال نشاطاته الفكرية والثقافية وخاصة في العراق وسوريا ومصر على اصلاح التعليم وتخليصه من التبعية للنظم الاستعمارية ويؤكد على مسالتين اساسيتين: اللغة العربية والتاريخ العربي وكان يعتقد ان شعار العروبة اولا كفيل بحل جميع التناقضات القائمة في الواقع العربي وفي مقدمتها التناقضات الثقافية التاريخية الموروثة.

❖ **الفكر الاممي:** الذي بدا في مرحلة العشرينات من القرن العشرين والذي يكتفي بطرح القضية الاجتماعية طرحا نظريا لا يعتمد على تحليل الواقع الاجتماعي المباشر قافزا من فوق القضية القومية متجاهلا احد التناقضات الاساسية في الواقع العربي وهو تناقض التجزئة.

• تأسيس الجمعيات الثورية العربية (العننية والسرية) قبل الحرب العالمية الاولى:

نتيجة للوعي الذي نما في القرن التاسع عشر الميلادي تطورت حركة القومية العربية من مجرد دعوات لمحربين ومشاعر تجيش في صدور الاحرار الى حركة منظمة لها انصارها وبرامجها السياسية ومما زاد في بلورة الناحية التنظيمية في الحركة القومية العربية في اواخر القرن التاسع عشر الميلادي واولئل القرن العشرين التطورات التي حدثت في الدولة العثمانية ومن ابرزها الانقلاب العثماني في ٢٣ تموز ١٩٠٨ الذي خلع السلطان عبد الحميد الثاني واعاد العمل بدستور ١٨٧٦ وسيطرة الاتحاديين الاتراك الذين تمادوا في سياستهم العدوانية تجاه امتنا العربية ولغتها وشخصيتها مما ادى الى ظهور جمعيات عربية تدعو صراحة او صمتا الى تحرر البلدان العربية الخاضعة للنفوذ العثماني. ويمكن تقسيم هذه الجمعيات العربية الى قسمين:

أ- الجمعيات العننية:

اذ كوّن الشباب العربي المثقف جمعيات ذات نشاط ادبي واجتماعي تعمل على نشر التراث العربي وتوعية الجماهير العربية وتعزيز الروابط القومية بينهم،
منها:

❖ جمعية الاخاء العربي - العثماني: تأسست في اسطنبول في آب سنة ١٩٠٨

واصبح لها فروع في بعض البلدان العربية وقد جاء في برامجها السياسي انها تدعو الى تحسين حالة الولايات العربية الخاضعة للدولة العثمانية على اساس المساواة الحقيقية بين العرب وغيرهم وتشجيع التعليم باللغة العربية.

❖ جمعية المنتدى العربي: تأسست سنة ١٩٠٩ وضمت عددا من الطلاب

والموظفين العرب في اسطنبول وكان هدفها ثقافيا ينحصر في انشاء مقر

يلتقي فيه العرب وقد ازداد عدد اعضائها حتى بلغ الوفا وفتحت لها فروعاً في مدن مختلفة في سوريا والعراق.

❖ **حزب اللامركزية الادارية العثمانية:** تأسس في اواخر سنة ١٩١٢ في القاهرة وهدفه السعي لتطوير اسلوب الحكم في ولايات الدولة العثمانية على اساس النظام اللامركزي في الادارة وبعبارة اخرى منح كل ولاية قسطاً كبيراً من الاستقلال الاداري حتى تستطيع تنفيذ الاصلاحات الضرورية ومقاومة اي غزو اجنبي في حالة تعذر مساعدة الحكومة المركزية لها خشية ان يتكرر ما حدث في ليبيا التي تعرضت للغزو الايطالي سنة ١٩١٢

كما ظهرت في بيروت اواخر سنة ١٩١٢ (**لجنة الاصلاح**) تألفت من ستة وثمانين عضواً. وكانت تهدف الى التطبيق العملي للمبادئ التي نادى بها دعاة اللامركزية ولقد اعلنت لجنة الاصلاح منهجها في اواسط شباط سنة ١٩١٣ ونشرته على نطاق واسع وخاصة في سوريا والعراق فعمدت السلطات العثمانية الى مطاردة بعض اعضائها . غير انها اضطرت تحت ضغط المظاهرات التي عمت بلاد الشام ان تطلق سراح المعتقلين من اعضاء اللجنة وتعلن عزم الحكومة على القيام بالإصلاحات على اساس اللامركزية الا ان الاتحاديين اصدروا يوم ٥ ايار سنة ١٩١٣ قانوناً جديداً للولايات العربية خطوة جديدة نحو مزيد من المركزية وتمكيناً لقبضة استانبول من الولايات العربية.

واجه القانون الجديد بعد نشره مقاومة عنيفة في الولايات العراقية الثلاث : بغداد والبصرة والموصل فأخذت الصحف تندد به كما عقدت الاجتماعات التي دعت الى مقاومة تطبيقه لأنه غير كاف لإصلاح ولاياتهم.

ان الاتحاديين بدلاً من ان يحققوا للعرب مطامحهم القومية اتجهوا نحو تطبيق مركزية شديدة واعتقوا (**سياسة التترك**) وتمجيد النعرة العنصرية القائمة على تفضيل الاتراك على غيرهم من عناصر الدولة ولجأوا في فرض سياستهم الى الارهاب. فألغيت الجمعيات العربية العلنية وكان لفشل الاتحاديين في الدفاع عن طرابلس العربية ضد الغزو

الايطالي سنة ١٩١١ ان احس العرب بضرورة بناء كيانهم الخاص المتميز فبدأوا يجهرون برفضهم للسيطرة العثمانية داعين الى المساواة بين العرب والأتراك فضلا عن مطالبهم العلنية التي يمكن تلخيصها بما يلي:

١. الاعتراف بكيان العرب ومنحهم الاستقلال الذاتي في بلادهم.
٢. مقاومة سياسة الأتراك.
٣. اقامة حكم دستوري بعيد عن الظلم والارهاب.

وهكذا كانت مطالب العرب واحرارهم ومتفقيهم تتلخص بكلمتين هما: الحرية والاستقلال لذلك لجأوا الى تنظيم انفسهم في جمعيات وحركات سياسية سرية لمواجهة الاخطار الجديدة.

ب- الجمعيات السرية:

وهي جمعيات تتبع اساليب تنظيمية سرية دقيقة من ابرزها:

❖ **الجمعية القحطانية:** اسسها في اسطنبول عزيز علي المصري وهو ضابط عربي في الجيش العثماني كان متحمسا للقضية القومية اواخر سنة ١٩٠٩ وكان من اهدافها ان يكون للعرب كيان خاص مستقل داخل البناء العثماني العام.

❖ **جمعية العربية الفتاة:** تأسست في باريس في ١٤ تشرين الثاني سنة ١٩١١ وقام بتأسيسها مجموعة من الطلبة العرب الذين كانوا يتلقون العلم هناك وكان هدفها تحقيق استقلال البلدان العربية وتحريرها من النير العثماني. وفي سنة ١٩١٣ نقل مركزها الى بيروت ثم نقل في السنة التالية الى دمشق وهي اهم الجمعيات السياسية العربية امتازت بوضوح اهدافها ووعي اعضائها واخلاصهم ودقة نظامها وقد بقى سر هذه الجمعية

مكتوما الى تشكيل الحكومة العربية في دمشق سنة ١٩١٨ وقد كان لهذه الجمعية دور كبير في الحركة العربية اثناء الحرب العالمية الاولى.

❖ **جمعية العهد:** اسست في اسطنبول في ٢٨ تشرين الاول سنة

١٩١٣ بزعامة عزيز علي المصري الضابط العربي المتحمس وقد سميت هذه الجمعية بهذا الاسم لان انتماء اي عضو اليها يعد بمثابة عهد بينه وبين الله تعالى على خدمة الامة العربية وشعارها: "ان ليس للإنسان الا ما سعى" وكان هدف الجمعية الحصول على استقلال الامة العربية وقد حرص مؤسسوها على اقتصار الجمعية على العسكريين ومن الذين قبلوا فيها من المدنيين الامير عادل ارسلان احد الاعضاء المؤسسين للجمعية القحطانية وكان لجمعية العهد فروع في مختلف المدن العربية ولعل من اقوى فروعها تلك التي فتحت في كل من الموصل وبغداد.

المؤتمر العربي الاول في باريس ١٩١٣

لقد شعر العرب بضرورة تعريف الراي العام العالمي بمطالبهم العادلة ورغبوا كذلك في توحيد جهودهم ونضالهم إقامة كيان سياسي خاص بهم لذلك قرروا عقد مؤتمر عربي عام فاستقر رأيهم على عقده في باريس يعيدا عن بطس السلطات العثمانية.

يعد هذا المؤتمر علامة بارزة في تطور الوعي العربي فقد حصره مندوبون عن معظم انحاء الوطن العربي فجسد بذلك الوحدة النضالية العربية ضد المستعمرين وقد هيأت للمؤتمر لجنة تحضيرية مؤلفة من عبد الغني العريسي وعوني عبد الهادي وجميل مردم ومحمد المحمصاني وندرة مطران وشكري غانم وشارل دباس وجميل المعلوف وقد اتصلت هذه اللجنة بالجمعيات القومية والشخصيات العربية والقومية البارزة.

لقد كانت اولى خطوات اللجنة التحضيرية اتصالها بحزب اللامركزية الادارية العثماني في القاهرة وعرضها عليه تبني المؤتمر وراثسته لأنه كان يضم رجالا بارزين. وقد ترددت دعوة المؤتمر في كل ارجاء الوطن العربي ورات اللجنة ان ذلك من عوامل نجاح المؤتمر والوصول به الى نتائج ملموسة استجاب كثير من قادة الحركة العربية للنداء وتوجهوا الى باريس وحضروا المؤتمر الذي عقد جلساته بين ١٧ و ٢٣ حزيران ١٩١٣.

ولقد جاء في بيان اللجنة التحضيرية للمؤتمر الذي اذيع على ابناء الامة: "اننا ندعو كل من يخفق قلبه لامة العرب صغيرا او كبيرا ان يلبي داعي الوطن" وقد وحدت اللجنة الموضوعات التي سوف يبحثها المؤتمر وبرزها: مناقشة حقوق العرب في الدولة العثمانية وضرورة اصلاح اوضاعهم.

حضر المؤتمر حوالي ٢٥٠ شخصا يمثلون مختلف البلدان العربية وتلقى برقيات تأييد من شخصيات عديدة في الوطن العربي واتخذوا عدد من المقررات التي اكدت ضرورة الاعتراف بحقوق العرب السياسية الكاملة وعلى ان يكون لهم دور في ادارة الدولة كما اكدت ضرورة الدفاع عن البلدان العربية من اي عدوان خارجي.

والحق بمقررات المؤتمر شروط نصت على ان الاعضاء المنتمين الى الجمعيات العربية يمتنعون من قبول اي منصب حكومي في الدولة العثمانية الا بموافقة جمعياتهم كما ان مقررات المؤتمر ستكون بمثابة البرنامج السياسي للعرب القوميين في تعاملهم مع السلطات العثمانية.

ان مقررات المؤتمر المتعلقة بالدعوة الى الاصلاح والمساواة كانت من القوة بحيث اجبرت الحكومة العثمانية على اعلان قبولها لتلك القرارات او التظاهر بقبولها فقد ارسلت جمعية الاتحاد والترقي سكرتيرها العام الى باريس للتفاوض مع رجال المؤتمر في مطالبهم وفتحت ابواب المفاوضات واتضح بما لا يقبل الشك ان الاتحاديين ما كانوا مخلصين في نواياهم ففي ٩ شباط ١٩١٤ اعتقلوا عزيز علي المصري وكان من انشط الضباط العرب في الجيش العثماني ومن اكثرهم كفاية وايمانا عندئذ اتصلت في دمشق جمعية (العربية الفتاة) بجمعية العهد وسلك في سنة ١٩١٥ ووجدتا جهديهما للسير في طريق واحد مهد لقيام الثورة العربية في الحجاز سنة ١٩١٦ بقيادة الشريف حسين بن علي.